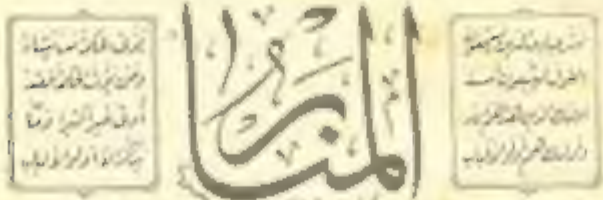

قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا، كما بدأ فطوبى

٢٠ رجب سنة ١٣٤٦هـ ، برج الحوت سنة ١٣٠٧ هـ ش ٢٣ يناير سنة ١٩٢٨م

تفسير القرآن الحكيم
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٦) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٧) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨) ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٩) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

بدأ بتفسير الالفاظ العربية في الآية فقال (الزحف) مصدر زحف الماشي على بطنه كالحية، أو دب على مقعده كالصبي، أو على ركبتيه، قال امرؤ القيس:

فأقبلت زحفا على الركبتين ... عليّ ومرطي مُمَسَّدُ أجر

والشيء يثقل في الحركة والتقارب في الحمل كزحف القطا (صغار الحراد قبل طيرانها) قال في الاساس: وزحف البعير وأزحف: أعيا حتى صار يزحف وزحف الشيء: جرجره ضعفا، وزحف العسكر الى العدو: مشوا اليهم في ثقل لكثرتهم، وقوم زحفا، وازاحف القوم وازاحفناهم، وأزحف لنا يوم فلان صاروا زحفا فقاتلنا، اه ملخصا. وازحف الجيش ويقسم على زحوف فرقوه عن معنى الصعوبة. (والادبار) جمع دبر (بضمتين) وهو الخلف ويقابله القبل وزنه وهو القدام، وقلما يكاد يستعمل الا في الدبر، وتولية الدبر والادبار عبارة عن الهزيمة لان المنهزم يجعل مقصد [illegible] وجها الى دبره وظهره، وقلما أفرون له على كذا الا أدبر، [illegible] من الحرف وهو الطرف، [illegible] أو مماثلة الفعل الرة بعد الرة أو بالتدرج وفي مادة (التحيز) وهو التمثل من حيزان آخره والحيز المكان، وسادته الواو، فتحوز المكان يتحوز حوله حائط، قال في الاساس: انحاز عن القوم: انفرد، واحاز اليهم وحاز انضم، وذكر جملة الآية (والفئة) الطائفة من الناس (والأوى) المأوى الذي يأوي اليه الانسان وينضم و (موهن) اسم فاعل من أوهنه أي أضعفه ومثل وهنه، وهنا ووهنه توهينا، و (الكيد) التدبير الذي يقصد به غير ظاهره فتسميه غايته التكيد به كما تقدم في تفسير الآية بعد من سورة الاعراف. والاستفتاح طلب الفتح والفصل في الامر، كالنصر في الحرب

والمعنى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتموا الذين كفروا زحفا) أي اذا لقيتموهم حال كونهم زاحفين زحفا لقتالكم كما كانت الحال في غزوة بدر فان الكفار هم الذين زحفوا من مكة الى المدينة لقتال المؤمنين فانهزموا في بدر (فلا تولوهم الادبار)

أي فلا تولوهم ظهوركم وأعجازكم منهزمين منهم وان كانوا أكثر منكم عدداً وعدداً، واذا كان الزاحف من الفريقين أو كان الزحف من المؤمنين فحرم الفرار والفرية أولى بوعيد فيتبين هنا ما يصلح للاحوال الثلاثة ورجح الاول هنا بقرينة المقال التي نزلت فيها الآية وكون النهي عن التولي والفرار انما يليق بالزحوف عليه لا بمن قفاه وليه ما اذا كان الزاحف من الفريقين . وأما الزاحف للهاجم فليس مظنة للتولي والادبار فيبعد بالنهي عنه وهو منه أقبح (ومن يولهم يومئذ دبره) غير يافظ توليه الدبر في وعيد كل فرد كما مر به في نحو الخلة تأكيد حرمة حرمة الفرار من الزحف وكون الفرد فيها كالجماعة وآثر هذا اللفظ مفرداً وجمعاً على لفظ الظهر والظهر أو الدبر أو الادبار والاقفية وإلية في تشبيها لانه لفظ يكنى به عن السوأة أو كل من يولهم يوليه الدبر (الا متحرفا لقتال) أي إلا متحرفا للمكان من أمكنة القتال رآه أنفع إلى الغلب بأن يتخذ له مكانا يتحصن به من ضربه وزحفه بأن في الكلام ايجازا بحذف [illegible] فيفرد من أشباهه فيكر عليه فيقتله (أو متحيزا إلى فئة) من المؤمنين في حيز غير الذي يقاتل فيه [illegible] فصاروا أحوج اليه ممن كان في حيزهم (فقد باء بغضب من الله) أي فقد رجع ملتبسا بغضب عظيم من الله عليه (ومأواه جهنم وبئس المصير) ومأواه الذي يثوبا اليه في الآخرة جهنم دار العذاب وبئس المصير جهنم ، كان التحرم أراد ان يأوي الى مكان يأمن فيه من الملائكة فوقف على ذلك بجعل مآله التي يصير اليها دار الملائك والعذاب للكافر أي يجوز في بعض فرضين بمعصية الفرار ، وقد تكرر في التنزيل المصير من جهنم والنار بالمأوى وهو إما من قبيل باعها وإما للتهكم المحض ، فائدة إذا رأيت استعمال هذا الحرف في غير هذا المقام من التنزيل تجده لا يذكر الا في مقام التحذير من خوف أو شدة كقوله تعالى (إذ أوى الفتية الى الكهف) وقوله (أو آوي الى ركن شديد) وقوله (ساوي الى جبل يعصمني من الماء) وقوله (والذين آووا ونصروا) الخ والآية تدل على أن الفرار من الزحف من كبائر المعاصي وقد بدأ التصريح

بذلك في أحاديث أخرجها من أبي هريرة ثم رفع عامة الشيخين واجتنبوا السبع الموبقات» أي المهلكات، قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» وقد قيد بعض العلماء هذا بما إذا كان الكفار لا يزيدون على ضعف المؤمنين وبعد بمنسوخة بقوله تعالى من هذه السورة (٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) الآية وسيأتي. وهذا ظاهر على قول من يسمي التخصيص نسخا كالمتقدمين. قال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا فر المسلمون فقتلوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا الا متحرفين لقتال أو متحيزين الى فئة. وإن كان الكثر كون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا ولا يستوجبون السخط عندي من الله لو ولوا انهم على غير التحرف للقتال أو التحيز الى فئة، ورووي عن ابن عباس شيء هو إن شاء الله أن يفر [illegible] فر ومن فر من اثنين فقد فر

ورووي من غير وجه وابن [illegible] وأبي سعيد الخدري وأبي بصرة وعكرمة ومكحول [illegible] الفرار من الزحف في هذه الآية خاص [illegible] قال إنما نزلت على ان قوله تعالى (يومئذ) يراد به يوم بدر، ولكن هذا خلاف قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويؤيده نزول الآية بعد انتهاء الغزوة، فإنه ليس فيما ذكر «يوم بدر» وانما المراد بقولهم يومئذ ما فهم من أول الآية أي يوم تلاقيهم زحفا كما تقدم فاليوم قد يعني الوقت. وأما قد يحمله بناء التخصيص على قرينة المقال لو كانت الآية قد نزلت قبل القتال - خلافا للجمهور - مع ما للغزوة بدر من الخصائص كونها أول غزوة في الاسلام ولم يفر فيها المسلمون والنبي ﷺ فيهم لكانت الغلبة كبيرة، وتأييد المسلمين فيها بالملائكة يثبتهم ووعده تعالى بنصر هو إلقاء الرعب في قلوب أعدائهم - فاذا نظرنا الى عموم الخصائص وقرينة المقال في النهي أعم كون التحريم للفرار بالوعيد الشديد الذي في الآية خاصا بها، أضف الى ذلك ان الله تعالى امتن على الصحابة (رض) بالتولي والادبار في القتال مرتين مع وجوده ﷺ معهم: يوم أحد وفيه يقول تعالى (٣: ١٥٥ ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض

ما كسبوا وقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم) ويوم حنين وفيه يقول الله تعالى (٩ : ٢٥ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٢٦ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) الخ وهذا الا يناقي كون الفرار من الكبائر ، ولا يقتضي أن يكون كل فرار غير المستثنيين في آية الانفال يبوء صاحبه بغضب عظيم من الله ومأواه جهنم وبئس المصير . بل قد يكون دون ذلك ويقيد بآية رخصة الضعف الآتية في هذه السورة وبالنهي عن اذاء النفس في التهلكة من حيث عمومها كما تقدم في سورة البقرة وسيأتي تفصيله قريبا

وقد روى أحمد وأصحاب السنن الا النسائي من حديث ابن عمر قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة [٤٢٨] وكنت فيمن حاص ، فلما كرت راجعين ورجعنا [٤٢٩] عرسنا [٤٣٠] ثم قلنا لو دخلنا المدينة فبتنا ثم صبحنا رسول الله ﷺ فقلنا ان كان لنا توبة اقمنا والا ذهبنا . فأتيناه قبل صلاة الغداة فلما خرج [illegible] الفارون ، فقلنا نحن الفارون . قال « لا بل أنتم العكارون [٤٣١] أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين » قال فأتيناه حتى قبلنا يده . وقال أبو داود : فقلنا ندخل المدينة فنبيت فيها الليلة ولا يرانا أحد فدخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر فان كانت لنا توبة أقمنا وإن كان غير ذلك ذهبنا ، فجلسنا لرسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر فلما خرج قمنا اليه فقلنا نحن الفارون الخ ، فأول بعضهم هذا الحديث بتوهم في معنى التحيز إلى فئة لا يلتفت اليه فليس معنى ولا قيمة عنده ، وقد قال الترمذي فيه : حسن لا نعرفه الا من حديث يزيد بن أبي زياد أقول وهو ضعيف فيه ضعفه الكثيرون وقال ابن حبان كان صدوقا الا أنه لما كبر ساء حفظه وتغير فاستحق الترك في حديثه فمن سمع منه قبل التغير صحيح . وعلة القول أن هذا الحديث لا وزن له في هذه المسألة لانه ولا سنداً يتوقى معه أثر من غير هو دونه فلا يوضع في ميزان هذه المسألة

٤٢٨ حاص عن الشيء حاد وعرب ٤٢٩ أي الصبح ٤٣٠ العكر الكر بعد الفر والكرار قلة ومعنى

وأما قوله ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ فهو وصل للنهي عن التولي بما هو حجة على جدارتهم بالاتباع، فان كانت الآية التي قبله قد نزلت بعد انتهاء القتال في غزوة بدر كما تقدم في أول السورة لأن عليه الجمهور فوجه الوصل بالفاء ظاهر جلي، كأنه يقول يا أيها المؤمنون لا تولوا الكفار ظهوركم في القتال أبدا، فأنتم أولى منهم بالثبات والصبر لأن نصر الله تعالى لكم أكثر ولا سيما اذا انتصرتم عليهم على قلة عددكم وعددكم وكثرتهم واستعدادهم، وانما ذلك بتأييد الله تعالى لكم، وربطه على قلوبكم وتثبيت أقدامكم، فلم تقتلوهم ذلك القتل العظيم بمحض قوتكم واستعدادكم المادي ولكن الله قتلهم بأيديكم بما كان من تأييد قلوبكم بمعاضدة الملائكة وملابستها لأرواحكم، وبالقائه الرعب في قلوبهم، فهو بمعنى قوله عز وجل (٨ : ١٢ فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) وقوله (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) وقوله (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (وينصركم الله نصرا عزيزا) وقوله (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) الآية، والمؤمن أعين بالنصر الذي هو أزكى الأعظم للنصر من الكفار، ولأن أول غرض لنا في هذا التفسير بيان ما يجب على المؤمنين من الثبات في القتال وعدم التولي عن العدو، وأعظم رجاء بالله والدار الآخرة كما قال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين الذين لم يكونوا كالذين قالوا لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم، انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) الآيات من سورة آل عمران.

ثم التفت من خطاب المؤمنين القاتلين بأيديهم والجندين لجنود المشركين بسيوفهم الى خطاب نبيهم وهو الرسول المؤيد من الله تعالى بالآيات (ص) ومنها أنه رمى المشركين يوم بدر بقبضة من التراب فانهزموا وشاهت الوجوه فأثبتت رميته هزيمتهم، روى من أبي معشر الطبري عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي بمعنى وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان النبي (ص) لما قال في استغاثته يوم بدر « يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبدا » قال له جبريل: خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم - فعل فما من أحد من المشركين إلا أصاب عينيه ومنخريه وفيه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين - وروى السدي انه (ص) طاب من علي أن يعطيه حصبا من الارض فناوله حصبا فيه تراب فرماهم به الخ. ومن عرف تواضعه وعكوفه وانقطاعه أيضا أن الآية في رميه (ص) في بدر. فاذا لم تكن رواية من هذه الروايات وهناك ان درجة الصحيح فمجموعها

مع القرينة معينة على ذلك . وروي مثل هذه الرمية في غزوة حنين فحمل الآية بعضهم على ذلك وهو شاذ وحملها بعضهم على رميه لأبي بن خلف بالحربة يوم أحد وهو متسع بالحديد فمثله وهو شاذ أيضا فالآية إنما السورة نزلت في غزوة بدر . والمعنى ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ أي وما رميت أيها الرسول أحداً من أولئك المشركين في الوقت الذي رميت فيه تلك القبضة من التراب بالقائها في الهواء فأصابت وجوههم فان ما تؤثيه كأمثالك من البشر من استطالة على الرمي لا يبلغ هذا التأثير الذي هو فوق الأسباب المتداولة لهم ﴿ ولكن الله رمى ﴾ وجوههم كلهم بما أوصل التراب الذي ألقيته في الهواء إليها مع قلته أو بعد تكثيره بعض قدرته ، وحذف مفعول الرمي للدلالة على عمومه في كل من الآيات والتي كادت قريبا ووقعا لا تقدر في علم المعاني . وقد يؤخذ هذا التعميم أيضا من اللفظ غير تكلف وجه الفرق بين قتل المؤمنين لذلك [illegible] الذي هو فعل من أفعالهم المعتادة ثم بحسب سنن الله في الأسباب [illegible] التراب الذي ليس بسبب للكآبة أو [illegible] وكونهم غير مستقلين كلهم له ولأجل هذا الفرق ذكر مفعول القتل منفيا ومثبتا ـ وهو ضمير المشركين في المنفي عطفا وأثبت المفعول مطلقا لعدم تعارضهما فالمراد من كل منهما ظاهر بغير شبهة ، ولو أثبت لهم القتل مع نفيه عنهم لكان تناقضا ظاهراً يحق جعل الثبت فيه غير النفي . وقابلهم لهم مشاهد لاحتاج في الآيات من حيث كان سبباً قاصراً ، وإنما الغلبة التي يبان نقصه وعدم استقلاله بالسببية ، ثم بيان ما وراء لم يكن وهو إعانة الله ونصره .

وأما رمي النبي (ص) لوجوه القوم فلم يكن سبباً لإصابتهم وهزيمتهم لا مشاهداً كضرب أصحابه للأعناق للمشركين ولا غير مشاهد ، والجمع بين نفيه وإثباته لا يرفع التناقض لعدم السببية وإذ يذكر مفعول الرمي بأن يقال « وما رميت وجوههم » إذ لا شبهة هنا في عدم استطالة النبي ﷺ لهذا استقلالا بكسبه العادي ، وأما هناك فالظاهر أن القتل من كسبهم الاستقلالي . والحقيقة أنه لولا تأييد الله تعالى ونصره بما تقدم بيانه لما وصل كسبهم المحض إلى

هذا القتل ، وقد علمنا ما كان من خوفهم وكراهتهم للقتال ومجادلة النبي ﷺ فيه (كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) فهو عائد على هذه الحالة المعنوية مع قلتهم وضعفهم لكان مقتضى الأسباب أن يحطم المشركون محمدا .

وأما الفرق بين فعله تعالى في القتل وفعله في الرمي فالأول عبارة عن تسخيره تعالى لهم أسباب القتل التي تقدم بيانها لا هو الشأن في جميع كسب البشر وأعمالهم الاختيارية من كونها لا استقلال في حصول ما بإتيانها الا بفعل الله وتسخيره لهم الأسباب التي لا يصل اليها كسبهم ، كقوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) و (نشأ ننشئهن إنشاء فجعلناهن) الخ فالانسان يحرث الأرض ويلقي فيها البذر ولكنه لا يملك انزال المطر ولا إنبات الحب وتغذيته بالتراب المختلف العناصر ، ولا دفع الجوائح عنه . ولا يستقل إعداد الزرع وبلوغه ثمرته بما يكسبه وجده .

وأما الثاني فهو من فعله تعالى بهم بغير كسب منهم ما دعى النبي ﷺ في تأثيره فالرمي منه كان سببيا لتلقي الأمداد من الملائكة ولسلامه عليه وعلى آله فتلقي ذلك كتلقي [illegible] في حبة تسعى) فخالف منها أولا كما ورد في سورتها وفعل

هذا ما يدل عليه نظم الكلام بلا تكلف ولا حمل على المذاهب والآراء الخادثة من كلامية وصوفية وغيرهما فالجبري يحتج بها على سلب الاختيار وكون الانسان كالريشة في الهواء ، والاتحادي يحتج بها على وحدة الوجود وكون العبد هو الرب المعبود ، والأشعري يحتج بها على الجمع بين كسب العبد وخلق الرب باسناد الرمي إلى النبي ﷺ وإلى الخالق عز وجل ، وهو يفي عن إسناد القتل إلى المؤمنين بالأولى ، والقرآن فوق المذاهب وقبلها ، غني بعصمته وبلاغته عن هذه التأويلات كلها (كل حزب بما لديهم فرحون) وكلام الله فوق ما يظنون .

وأما موقع الفاء في أول الآية على القول بأن الآية السابقة عليها نزلت قبل القتال تحريضا عليه فقد قيل إنها والفعة في جواب شرط مقدر واختلفوا في تقديره وقال بعضهم بل هي لمجرد ربط الجمل بعضها ببعض ، وقد يقال إنه لا مانع من نزولها بعد المعركة ووصلها بما قبلها للدلالة على ما ذكرنا من التعليل والاحتجاج

على مشروعية النهي عن الخزعبلات. وأولى منه أن يستدل بها على نزول ملائكتها في ضمن السورة بعد الحركة.

وأما قوله تعالى ﴿ وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ﴾ فهو معطوف على تعليل محذوف عما قبله، أي: أنه فعل ما ذكر لإقامة حجته وتأييد رسوله ﴿ وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ﴾ بالنصر والغنيمة وحسن السمعة

والبلاء: الاختبار بالحسن أو بالسيء، كما قال تعالى في بني إسرائيل ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات ﴾ وتقدم بيانه بالتفصيل. وختم الآية بقوله ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ وهو تعليل مستأنف قبله. المعنى والمراد أن الله تعالى سميع بما كان من استغاثة المؤمنين مع الرسول ربهم ودعائهم إياه وحده، عليم بصدقهم وإخلاصهم وبما ترتب على استغاثتهم لعلمه بتأييد الحق على يده وخذلان الباطل [illegible] كما أنه سميع لكل نداء وكلام، عليم بالنيات الباعثة عليه وبما يترتب عليه [illegible] وبكل شيء.

ولما كان من [illegible] فعل كل منهما وجزائهما عليه قال ﴿ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ أي الأمر في المؤمن والانتقام مما تقدم هو ذلكم الذي سمعتم، ويضاف إليه تعليل آخر وهو أن الله تعالى موهن كيد الكافرين، أي مضعف كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ومحاولتهم القضاء على دعوة التوحيد والإصلاح قبل أن تقوى وتشتد، قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ﴿ موهن ﴾ بتشديد الهاء والنون ونصب ﴿ كيد ﴾ والتشديد للمبالغة في الوهن. وقرأ حفص عن عاصم بالتخفيف والإضافة والباقون بالتخفيف والنصب

وقد صرح التنزيل بجزاء الفريقين في تعليل آخر في عاقبة الحرب، قال في سياق غزوة أحد من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس ـ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤١ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)

﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ قيل إن الخطاب للكفار ذكر اضعافهم ثم التفت عنه الى تذكيرهم وتوبيخهم على استصراخ إله على رسوله (ص)

ذكر محمد بن اسحاق وعروة عن الزهري عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتى بما لا يعرف فأحنه الغداة ، فكان ذلك استفتاحه منه . رواه عنه أحمد ورواه النسائي في التفسير والحاكم في المستدرك من الزهري، وروي مثله عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم. وقال السدي كان المشركون حين خرجوا من مكة الى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين ، فقال الله ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ يقول قد نصرت دينكم ومحمداً ﷺ ، وفي رواية أن أبا جهل قال حين التقى الجمعان [illegible] وبنا القديم وقطع الحديث فأي الدينين كان أحب الله وأرضى عنده فانصره اليوم . والفتح هو نصر النبي ودينه وأتباعه . [illegible] ARCHIVE [illegible] كه والنا بدينه ولم يكن أكثر أكثر [illegible] فقطعنا الرحم [illegible] ومحمد رحمه النبي ﷺ .

﴿ وإن تنتهوا فهو خير لكم ﴾ أي وإن تنتهوا عن عداوة النبي ﷺ وقتاله فلا شيء خير لكم لأنكم لا تكونون الا مغلوبين عاجزين كلما قاتلتموه ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ نزلت في عدة أبي سفيان بالاضافة الى الاستمرار على العدوان والقتال، والمعنى أن يراد به الأعم من الشرك فتكون الخبرية على حقيقتها وكفا ﴿ وإن تعودوا نعد ﴾ أي وإن تعودوا الى قتاله نعد لنصرته وأيدمن الفتح له عليكم على يوم الفتح الأعظم الذي يذل فيه شركم ، وتذل القوة المؤمنين عليكم ﴿ ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت ﴾ أي ولن تدفع عنكم جماعتكم من المشركين شيئا من بأس الله وعذابه ولو كثرت عدداً فالكثرة لا تكون سببا للنصر إلا إذا تساوت مع القلة في الثبات والصبر ، والثقة بالله عز وجل ﴿ وإن الله مع المؤمنين ﴾ بالنصرة والولاية والتوفيق فلا تضرهم قلتهم. قرأ نافع وابن عامر وحفص (وأن) بفتح الهمزة بتقدير اللام أي ولأن الله مع المؤمنين

فتحتهُ ، وبسم مقدر أمامه .

المصور : إياك وإياك والصور

فتح وفي فتاح

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والأرض وما في حكمها

(هذه الملاك)

أصح حسن وحب الإله

(وساعد الدمه)

---

*) للاستاذ الشهير صاحب الامضاء

في الوجود عرف غير قيمتهم وعملهم

كتاب الصحة للباغا عابدي

كلمة المترجم

في عرض أفكاري عليهم ٥

ويسمونه هناك « الديم »

(٦)

الآلة الأربعة(١)

وقد سمت معالمها عند

ن يسموا بالمهن و

الهندسة وعلم المعمور وغيرها

من أمس الضرورة لا الاختيار

(أمالي الله عن)

ومن أغربها أنه طلب

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿ الباب الأول ﴾

(في أحكام وقاعدتها)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أحسابٍ التي يكون الرئيس منه

﴿ أحكام عامة ﴾

أنباء العلم الإسلامي

وفيات الأعيان

والطف أهبي امرة:

(الحكيم محمد اجل خان مسيح الملك) هو من اكبر يونانيات العهد القديم للسلسل الذي لم ينقطع بفصل نسبه فلا عن الفارابي الحدث الفيلسوف المشهور كلاهما في بلده. ومن آثار هذا العهد الموروثة خزانة كتبه الشتملة على خالص المخطوطات في العلوم المختلفة من شرعية وغير شرعية وفيها بالعربي الفريد والفارسية المكتوب بعضها على ورق الحرير بخط الفارسي أو النسخي الجيل الذي يستحق كل سطر منه أن يكون زينة لخزانة جدران القصور وأندية العز والأدب

انتهت إلى هذا الحكيم الزعامة الطبية والامامة السياسية في سمائي المتدوكان من أبرع الأطباء على الطريقة العربية اليونانية مع إلمام بالطب الأوربي العصري يعتمد به العيادة بين الطبيين في بعض حالات الأمراض ومستحضاتها وبعض المؤثرات في الأدوية فما ، وكان أمراء العهد في ولايات الهند الستقلة يتعصبون على طبه ويصونون الأمور بوساطته في بعض مباحث [illegible] ويعتبر الطب القديم لا كان على [illegible] من كبرائهم بطب الحكيم

وقد كان رحمه الله [illegible] في الطب والسيرة في الأمور العامة وتولى رياسة جمعية الخلافة [illegible] رياسته وكان من رأيه وجوب الاتفاق بين السلمين والهندوس في الأمور الوطنية من سياسية واقتصادية وغيرها وكان يزعم أكرم الله مثواه صديقي وما زرت مدينة دهلي في أثناء سياحتي الهندية في أواخر جمادى الآخرة سنة ١٣٣٠ الموافق أواخر مايو سنة ١٩١٢ دعاني إلى النزول في داره الفاخرة وألح علي في ذلك فاعتذرت بأني إنما تم أنضه وقت العشي إلى دهلي وسيفوتني في إحدى فنادقها الكبرى في سواحيها الخوية بين الحدائق والبساتين في هذا الفصل الجميل (فصل الربيع) لاحد بعض الراحة فيها من كثرة الزائرين ، ولا يتيسر هذا مع النزول بداره القديمة في البلد وهي مأوى طلاب الطب والطب ومتجمع الزائرين ، فاكتفى من النزول دعوة خاصة ودعوة عامة وما أليها جمهور أطبائها من الحذاق والكبراء وقدم لي سيارته لزكوبها في زيارتي لمساجد العاصمة والآثار القديمة في البلد وسواحيها فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء

وجملة القول ان العهد قد خسرت بفقده أعظم زعمائها العلمي علما وحكمة وسياسة وإخلاصا فجزى الله الأمة كلها وخصني ولده الكبير الوحيد جمعه الله خير خلف لخير سلف . آمين

باب الانتقاد على المنار

كتب الى الشيخ عبد القاهر الامام في المسجد الحرام يقول ان بعض الاخوان انكر علي تفسيري لام في سورة يوسف عليه السلام بما خالف اجماع المفسرين وعامة شيخهم ابن جرير. وانه هو اي الكاتب والفهم على ذلك

وجوابه ان المفسرين اختلفوا في تفسير الآية فلم يجمعوا على قول وان اجماعهم ليس بحجة ولا يمكن العمل به ان أمكن وقوعه ووقع، والامام احمد يفتح باجماع الصحابة ان علم وبقي ما سواه. وان الذي قاله أنا منقول عن بعض المفسرين في يوسف عليه السلام وهو انه هم بضرب امرأة العزيز وظاهر أنها هي أولى بارادة هذا لان الانسان انما يهم بعمل ما يضمر عليه وهي تضمر على ضربه والضرب معتاد من السيدة لخادمها ولابسها إذا أخطأ بل الاهانة التي أعلن بها يوسف مولاته: راودته عن نفسها فاستعصم وهذا سيوء في كل زمان وبلد فالقاعدة معي لا تجمع عليها وحدها وهو قد استعصم منها بعد المراودة وما يفتح إن القول وانما تكون المرأة في حال التراضي بينها وبين [illegible] وهم يعلمون في معنى هم بضربه أو ضربه وارد ولا شواهد في الامر المصحيحة لان الهم يتعلق بفعل لا بحجة ويفسر الفعل بالقرائن فاذا قيل ان فلانا فعل كذا من المنكر فهم به عمر مثلا فالمعنى الذي تقتضيه القرينة انه هم بتأديبه بالقتل أو ما دونه كالضرب ولو بالدرة. وانه رأى جمهور المفسرين ان القرينة في قصة يوسف تقتضي أن يكون متعلق الهم المشترك بينه وبين سيدته هو الفحشاء وهذا إنما كان يترجح لي إلحاقا في القصة قبولها هما لو كانت القاعدة عندها واحدة ولكن الامر لم يكن كذلك بدليل عدة آيات من السورة فتعين ترجيح تفسير الهم بالضرب والايذاء منها كما هو المعهود من الطباع في مثل هذه الحال في كل زمان: همت بضربه وهم بالدفاع عن نفسه أولا كما هو حق من سألت عليه نفسه فرأى من برهان ربه ما منعه عن الشر واستبقها للباطل

والدليل على هذا من القصة الآية السوء(١) إنما نا أهلي العزيز لدى الباب تملك اليه فتاها بقولها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) الخ والتالي يعني السوء هذا التعدي والاهانة بالضرب ونحوه لان سجنه في المدة ما يسوء فاعله أو التوجه اليه من قول أو فعل فهو يطلق حتى على المكروه وصغائر المعاصي (٢) أنها لم تكن تتهم يوسف بارادة الفحشاء بدليل قوله تعالى حكاية عنها (ولقد راودته عن

نفسه فسخطه ، ثم قوله تعالى في آخر قصتها حكاية عنها (الآن حصحص الحق) الخ فرجع اليها بما ترده بكلمة السوء زوجها إلا العمي (٣) اه عليه السلام كان عرضة لامرين للفحشاء التي دعته اليها بالقول الصريح ، والسوء الذي كانت تتهمه اليه بامر يضره وقد صرفها الله عنه كما قال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) ومثل هذا قوله تعالى (إنا يأمرك بالسوء والفحشاء)

ويؤيد ذلك من المعقول ان المرأة يبعد أن تخبر بأن الشهوة لزوجها عن نفسها هذا البهته بإرادة السوء بها مانع عن نفسه وصرح بأنها راودته عن نفسه (أي خاطبته حتى حمل بالاستلام منه ، فانكرت بالطبع ، فشهد الشاهد من أهلها بما دل على صدقه وكذبها ، ثم اعترفت بمراودتها هي له مرتين ثم رة فلماذا وشهدت له فيها بأنه استمسك عن مراودتها — ومرة الرجال لا الرسل الملك من سأل النساء عن سبب مراودتهن ، عليه السلام عن كاذب عن إظهاره الميل اليهن (فلان تعالى قد ما علمنا عليه من سوء) ان الله قد عبر عنه بلا النكرة التي تؤكد عمومها بكلمة « من » (قالت الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين)

وأما عائشة ابن جرير فلا يحتاج هنا الى احد من الناس ممن يعرف أصول هذا الدين فضلا عن العلوم من أدنى ضرورة ان فهم ابن جرير ليس أصلا من أصول الدين ولا حجة من حججه وقد وجد عالم من علماء المسلمين قال بوجوب اتباعه أو الرجوع اليه بالفعل تدينا وما من مفسر الا وقد خالفه في بعض آراته وهو نفسه قد خالف في التفسير بعض ما رواه في الصحيحة ولم تخل منه وصرح بانه لا يحتج بقول أحد بينه في تفسير آية الا رسول الله (ص)

وانتقد الشيخ عبد القاهر أيضا إسراء الذي اغرور بالألف في ص ٤٦٩ ج ٦ م ٢٨ من المنار وسأل عن إسراء — وجوابه انه كتب أو جدته قال الطيبة هكذا سهواً في الغالب وهو مع هذا ليس خطأ فان لغة استعمال المشي بالألف في أحوال إسراء الثلاثة مشهورة وهي لغة فصيحة جاء عليها قوله تعالى (ان هذان لساحران) من سورة طه على قراءة تشديد إن . فليراجع المنتقد تفسيرها في كتب التفسير التي تعنى بالاعراب أو في المغني لابن هشام أو ما شاء من كتب النحو . وينبغي لمن ينتقد الاعراب أن يكون عارفا بضروريات النحو على الأقل

﴿ محتويات الجزء الثامن والعشرين من المجلد ﴾

بسم الله والحمد لله الجزء الثامن والعشرين كما افتتحناه بها ، ولعل وسم على تمام الثلاثين ، من أكمل الله رسالته الذين ، محمد النبي الأمي العربي الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، وآله وصحبه الغر الميامين ، ومن اتبع هديه الذي بلغه وأخوه منه بالعهد وقضى إلى يوم الدين

أما بعد فإن الجزء الذي بين أيدينا في هذه السنة يأتي بعد من الخلاف في اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني التي كانت تقوم بأعمالها في خدمة الوطن بالنظام التام ، وبكرامة المطبوعات لدينا بعد تجديد مطابعنا وادارتها بالنشر ، وتوسيع أعمال مكاتبنا وتنظيمها ، فإن اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني قد نشأ الخاص والعام أن سبب الخلاف الذي حدث فيها هو ما ظهر من عناية أولاد المغفور له استقلال القضية السورية وتوليها الرئاسة على أحد أعضاء أسرة آل الكيلاني الكبير والوصول إلى ذلك [illegible] الأعضاء في اللجنة التنفيذية وكون [illegible] أنه لا ملاح [illegible] الرئيس السابق للجنة [illegible] من وجود ولا بقي بها حزب من تلك الأحزاب بل زالت من جميع الوطن به وبين عرى الاتصال والاتحاد من أعضاء اللجنة وصار أعضاء اللجنة الحقيقية الممثلة للأحزاب والزعماء في سوريا وفلسطين على رأي واحد وشعور واحد ولكن بعد الانتهاء من كل عمل يعاونهم الصليح من أساس هو تعاونهم على رئاسة آل الكيلاني الزعامة كما كان فإن ذلك

وأما إدارة المجلة والمطبعة والمكتبة فقد انتظمت في سلك واحد وصار لدينا سعة في الوقت لعود إلى العناية بالنشر والنشر الذي نعالجه بأنفسنا الأمة من جميع الأقطار . ولا يبقى إلا أن يؤدي إلى قراء المنار قيمة الاشتراك في أوقاتها ومتعاني الإدارة الجديدة المخلصين للسوفين في هذا القطر لدى العلم أن لم يؤدوا ما عليهم من الحقوق من هذا العام

وإننا نطالب أهل الغيرة والرأي بأن يكتبوا إلينا بكل ما يرونه في إنارة عقلنا لخير ما فيه مصلحة الأمة مؤيدا بالدليل ومراعى فيه الاختصار [illegible] وهو يهدي السبيل] وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

صاحب المنار
محمد رشيد رضا